

اليهودية والإسلام – اتجاهات للحوار والمشاركة والتعارف المتبادل.

ورقة نقاشية مترجمة من العبرية عن الإنجليزية أعدها طاقم التخطيط الإسلامي- اليهودي في " أكاديمية بين الديانات إياهو " كخلفية للمؤتمر العالمي الأول للأئمة والحاخامات المنعقد من أجل السلام

تمهيد: خلفية وعرض

هناك نظرة شائعة ومألوفة مفادها أن الديانتين اليهودية والإسلام واقعتان في صراع مرير يتعذر الخروج منه. هذه النظرة تلحق الضرر والأذى بالديانتين وأتباعهما وبالذور الذي تؤديانه، فضلا عن ذلك، أن الوشائج والصلوات واللقاءات المتبادلة وكذلك الإثراءات المتبادلة تدحض هذه الفكرة وتثبت بطلانها كما يستدل من رواية التاريخ. لكن هذه العلاقة والعرف التقليديين أصبحا في طي النسيان. ونتيجة لذلك وفي أغلب الأحيان لا ينتبه اليهود والمسلمون إلى القيم الدينية والثراء الروحي المتبادل.

أن عدم إدراك هذه الحقيقة يؤدي إلى فقدان المشروعية، هذا من جانبه يؤدي إلى ضياع الاحترام والتقدير الذي ينتج عنه الحقد والعداء والعنف، أن ما يهدف إليه مؤتمر الأمة والحاخامات هو التذكير وإحياء الصلة التاريخية الغنية بالتبادلية ومحاولة إظهار منابع التراث اليهودي الإسلامي المشترك كمرجع للسلام بين الطوائف الدينية وكإلهام خلقي للبشرية.

أن الصلة التاريخية العميقة التي نشأت بين اليهودية والإسلام توارت عن الأنظار من جراء المواجهات السياسية التي ألفت بظلالها في القرن الأخير على وجهات النظر المتبادلة لليهود والإسلام. ففي الفترة

الأخيرة عرضت التوترات الشديدة بين إسرائيل وجاراتها الدول العربية ولا سيما التوترات بين الفلسطينيين كتوترات بين الديانات. أن لهذا العرض بعدا سلبيا على العلاقة بين الديانات. فالمواجهة في الشرق الأوسط جرت الديانات نفسها إلى حد ما من المواجهة. إن الصراع القومي والسياسي استمد قوته من الدين الذي أتخذ بل صمم من جديد كتبرير لهذه المواجهة. لقد بات لزاما على الجميع وقف هذا المسار المتدهور وإبعاد الديانات كليا عن السياسة والمواجهة القومية. إن حالة المواجهة التي تبدو فيها الديانتان اليهودية والإسلام ليست مقصورة على هاتين الديانتين بل أصبحت إلى حد كبير مشكلة شاملة. فاليهود والمسلمون يعيشون جنبا إلى جنب في مراكز مدن العالم كله وليس في الشرق الأوسط فحسب. ولا شك أن العلاقات بين الجاليتين تتأثر في ظل الصراع الشرق أوسطي، لذلك فإن العلاقة المتأزمة بين الديانتين تؤثر على جو التعايش في معظم أرجاء العالم الغربي.

لقد أصبح من الأهمية بمكان إن يسمع قادة الدين وزعماءه أصواتا تدحض هذه النظرية العدائية المألوفة، وتساعد على منع توغل العداة والعنف وتعمل على دفع السلام والتعايش والتفاهم. إذا ما رغبتنا في ألا يعمق الدين هذا الصراع فعليه إن يلعب دورا فاعلا في خلق وبناء البديل أي خلق وبناء علاقات ايجابية بين الجاليتين. إن اللقاء الحالي للأئمة والحاخامات يهدف إلى بناء صلة تنشأ عنها صورة أخرى للعلاقة بين الديانات بحيث تدفع هذه العلاقة الأمور إلى قدما نحو خطوات عملية تقوم على الاحترام والتعارف والتعاون. إن اللقاء الحاصل يسعى إلى إقرار التراث اليهودي الإسلامي ولا سيما الجوانب الخلقية والدينية والروحية المشتركة فيه.

إن معرفة المشترك بين الديانتين لا تقتضي غض الطرف أو تجاهل الفوارق الهامة بين الديانتين ولا تتجاهل كذلك الواقع الصعب عبر التاريخ المشترك. رغم كل ذلك فعلىنا إلا نتجاهل الفوارق أو الذكريات المؤلمة تقرر جدول أعمالنا أو تحدد الشكل الذي تعرض فيه الديانتين، إن التقليد والقيم المشتركة لأقوى بحيث تتمكن من بناء وتصميم الوشيحة المستقبلية بين اليهودية والإسلام.

إن اللقاء الحالي بمثابة محاولة تركيز اهتمام القيادات الدينية تجاه إمكانية التعاون المشترك والتفاهم المتبادل. ونحن يحدونا الأمل في أن يلعب الدين دورا بناء مسهما في دفع العلاقات الحسنة قدما بين الجاليتين خاصة والبشرية عامة، بدلا من أن يلعب دور المؤجج للمواجهة السياسية الواقعية. ليس الهدف من اللقاء الحالي إيجاد حلول سياسية للنزاعات في الشرق الأوسط، بل تمكين اليهودية والإسلام – على ضوء الرباط التاريخي القديم بينهما – من التوجه رغم؛ مجمل التحديات؛ إلى البحث عن طريق مشترك يخدم البشرية.

على ضوء هذه الأحداث من اللقاء نوصى بحرارة أن يمتنع المشاركون عن سبق إصدار من التعرض لحوادث خاصة في الشرق الأوسط بل عليهم أن يصبوا إهتمامهم تجاه رؤى بعيدة المدى للديانتين في الماضي والحاضر والمستقبل. كما يحدونا الأمل في هذه المناسبة إن يتسنى للمشاركين التحرر من الأفكار المسبقة والانفتاح على الإصغاء للآخرين. بودنا إن نشجع المشاركين في هذا الاجتماع أن يشغلوا هذه الفرصة بغية توطيد صداقات أصيلة فيما بينهم. في غضون مئات السنين جرى التعايش اليهودي الإسلامي في سياق علاقات شخصية نشأت في الجاليات التي عاشت الوحدة جانب الأخرى. إن الصداقات والروابط الشخصية من شأنها أن تكون القاعدة الأقوى للتعارف المتبادل ولنشر

السلام. إن اللقاء الحالي في افران والمنعقد تحت رعاية ملك المغرب محمد السادس يحمل معاني رمزية كثيرة. طوال مئات السنين نشأت علاقات ثقافية كبيرة وهامة انعكست فيها معاني الثقافة اليهودية الإسلامية. إن التزام العائلة الملكية المغربية في دفع التقارب اليهودي الإسلامي هو بمثابة استمرار ومواصلة للتاريخ الغريق الخاص بهذا الجزء من العالم الإسلامي. نحن نذكر بتقدير خاص الملك محمد الخامس الذي كانت بينه وبين الرعايا اليهود في بلاده علاقات طيبة تميزت بأعمال واقعية وهي حماية الرعايا اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية.

الإثراء المتبادل اليهودية والإسلام، شهادة التاريخ في غمرة الظروف المعاصرة كثيرا ما يكتنف النسيان الإثراء المتبادل بين اليهود والإسلام عبر مجرى التاريخ المشترك. فمنذ قرابة ألف وخمسمائة عام ارتبط تاريخ الإسلام بتاريخ اليهودية في اتصال مستمر بدأ بالتلقي وواصل مشواره في التلقي والتأثير. يمكن الإشادة بثلاثة فصول هامة لهذا التراث والموازية للتأثيرات المؤسساتية والحضارية والروحانية هذه سمات العلاقة المتبادلة في غضون نشوء الإسلام المؤسساتي وذلك أثناء ازدهار المنطق والأدب الإسلامي في الأندلس وأخيرا في أوج الروحانية الإسلامية في العصور الوسطى.

من المستحسن إن نذكر القرب الجغرافي لشبه جزيرة العرب مسقط رأس الإسلام من أرض إسرائيل التي تشكل حده الشمالي. لقد غذي هذا القرب الجغرافي الوشائج الروحانية منذ أيام التوراة عندما استوطن اليهود في الجزيرة العربية. لقد ازدادت الجالية اليهودية بصورة كبيرة حتى عهد النبي محمد. لا شك أن أمرا ما من "روح بلاد النبوة" قد أثار شبه جزيرة العرب. ليس من الممكن فهم الإسلام بدون تراث أنبياء التوراة. يرى الإسلام ذاته مثبتا ومتصلا بتاريخ طويل ومتواصل، يتميز

بسلالة الأنبياء رسل الله. إن الإسلام القديم الذي اعترف بالقدس كوجهة أولى للصلاة وكحديقة قضاء آخر الأيام اعترف بهذه الصلة الروحانية. في بداية الإسلام اعتقد المسلمون واليهود بذات الرب، عبده متخذين الوجهة ذاتها أثناء تأدية الصلاة. لقد التقى اليهود والمسلمون بمعتقدات وعادات كثيرة أخرى نحو الإيمان بالرب الواحد الأحد، الإيمان بنزول الوحي، الإيمان بالنبوة وبالحياء بعد الموت والطهور وقوانين تحريم الأظعمة، وكذلك الاشتراك في مناسبات معينة مثل يوم عاشوراء. إن الالتقاء في اليهود في أثناء بلورة الإسلام وتشكيله أسهم كثيرا في تطوير روايات التفسير في الإسلام وذلك من خلال " الإسرائيليات " " وقصص الأنبياء " إن عددا من هذه الخصائص ما زالت تقوم عليه العلاقات بين اليهودية والإسلام حتى أيامنا.

لقد انخرط اليهود بصورة ايجابية وبسرعة فائقة في الحضارة الإسلامية إن انخراطهم كان أكثر عمقا من الانخراط في الحضارة اليونانية. لقد انخرط اليهود في الحضارة العربية التي اختاروها بهدف التعبير تقريبا عن كل اتجاهات التقاليد التاريخية اليهودية من ضمن ذلك ترجمة التوراة إلى العربية، وكتابة العربية بحروف اللغة المقدسة (اللغة العبرية) بخلاف حالة العزلة الحضارية التي عاشها اليهود في أوروبا في العصور الوسطى، فإن حالهم في ظل الحياة الإسلامية تختلف. فقد اندمجوا بصورة جيدة في الحضارة الإسلامية طالما تمتعوا وحظوا بمعاملة تسامحية. في فترات الانفتاح أسهم اليهود بصورة تسترعي الانتباه في دفع الحضارة الإسلامية نفسها. بلغ التعايش الحضاري أوجه في الأندلس في الفترة الكبيرة الثانية التي تجلى فيها الإثراء المتبادل في مجالات العلوم الدينية والدينية ومن ضمن ذلك علم الكلام. إن الفلسفة والأخلاق والطب وحتى الشعر الذي رغم انه كتب بالعبرية استخدم

الوسائل الفنية والأوزان العربية، لقد تأمل اليهود كتابات ومؤلفات الفلاسفة المسلمين وقاموا بتفسيرها مما أدى إلى إثراء التوراة والتلمود بمفاهيم ومصطلحات إسلامية وهم بالمقابل أثرت مؤلفاتهم العلوم العربية في مجالات العلوم الفلكية والطب والرياضيات. لقد قام اليهود بترجمة الأعمال الإبداعية العربية إلى العبرية بحيث أصبح اليهود الرواة الأساسيين لنشر الحضارة الإسلامية في الغرب. وهناك حالات ضاعت فيها الأعمال الإبداعية العربية الأصيلة بمرور الزمن مما حدا باليهود إلى نشر الحضارة الإسلامية بواسطة الروايات العبرية.

إن اللقاء الثالث والكبير بين اليهودية والإسلام حصل في المجال الروحاني في العصور الوسطى. هنا ذرية المفكر اليهودي الرمبام موسى بن ميمون ( 1135-1204) الذي كتب معظم مؤلفاته باللغة العربية، قامت بمطابقة الروحانية الإسلامية لروايتهم الدينية والشعائرية. لقد ترك إزدهار الحركة الصوفية في محيطهم أثرا وانطباعا بأنها أي الصوفية استمرارا للرواية النبوية القديمة في إسرائيل. وهناك احتمال أن تكون هذه الحركة الدينية المصرية التي انتقلت من مصر إلى الأرض المقدسة في القرن الرابع عشر بحيث أثرت حركة الكבלة المتشكلة والكבלة المتأخرة ولا سيما كبلات التي ازدهرت في العهد العثماني.

في السنوات التي تلت كان هناك دائما لقاء متواصل في الحياة اليومية بين اليهود وبين محيطهم الإسلامي في المجالات المختلفة نحو: الموسيقى، الفن، الشعر، الفلكلور والهندسة المعمارية. تقريبا كل مراحل الحياة لكلتا الجاليتين متشابهة في الأفراح والأحزان. إن الدليل البارز على التراث الروحاني المشترك يتمثل في تقدير كل طرف القديسين عند الطرف الآخر، كما أن قبور القديسين أصبحت تراثا مشتركا، إن الأماكن المقدسة نحو قبور القديسين أصبحت رموزا لملتقى التيارات المختلفة

للروايات كما تدل على ذلك أماكن مقدسة منتشرة بكثرة في البلد الذي يحتضن هذا المؤتمر الحالي. من هنا تتبع أهمية المحافظة على هذه الأماكن التي تشكل جزءاً من التراث المشترك. يمكن القول التوترات السياسية وأنماط الهجرة وعدم التسامح أدت إلى محو شبه مطلق لذكرى الحضارة اليهودية الإسلامية.

ما هو المشترك بين الديانتين اليهودية والإسلامية ؟

في كثير من المفاهيم إن اليهودية والإسلام ديانتان متشابهتان. هذه الحقيقة واضحة ليس فقط للباحث المقارن إنما أيضاً لأجيال كثيرة من المفكرين في كلتا الروايتين التاريخيتين. ليس التشابه مقصوراً على التشكيلة الواسعة والهامة من العقائد التي تبني وجهاتها الدينية، وإنما هناك تشابه نبوي هام بينهما. بكلمات أخرى هن يشتركن بالمنطق وبالتلاحم الداخلي وبالمفاهيم المركزية ومن ضمنها النقاط الرئيسية لفهم الديانات. فاليهود والمسلمون يمارسون حياتهم الدينية بصورة تمكن كل جانب منهم أن يحدد ويقيم الحياة الدينية للجانب الآخر. إن هذا النوع من التعاون والمشاركة في العقيدة والعمل يمنح القاعدة لإمكانية التعارف المتبادل المعرفة المتبادلة بين الديانتين وذلك لأنهما قادرتان على التفاهم المشترك ولديهما القدرة على الاعتراف الواحدة بالأخرى. حقا هذا ما كان في غضون التاريخ المشترك للديانتين. عندما نسعى لتجديد هذا التاريخ فنحن نسعى لتجديد ما كان وليس لخلق شيء من عدم. إن أفضل منطلق نبدأ به للتعرف على المتشابه بيننا هو الأساس المطلق الذي تقوم عليه الديانتان هو الله. الديانتان تعترفان وتقران بوحدانية الله. وبمرور الأجيال علم اليهود والمسلمون أنهم يعبدون الرب نفسه. إما إن يكون الرب في الديانة

الأخرى آخر فلم يرد في البال بصورة قاطعة. علم اليهود والمسلمون أنهم عبدون نفس الرب ونسبوا إليه صفات مشرقة. كما إن الأفعال المنسوبة إليه هي ذاتها نحو الله خالق السماوات والأرض، يتجلى الله لعباده ويتصل بهم. اهتمام الرب بعباده وبأعمالهم وتصرفاتهم نحوه. لذلك يهدي الله عباده في طريق الخير والعيش الكريم. وهو يحاسبهم وفق أعمالهم وطاعتهم له. إن تشكيلة من التفاهات الدينية المشتركة لليهودية والإسلام نابعة من الوصف الأولي للرب. الاعتراف بالرب كخالق تشكل وتصوغ نظرة وعلاقة الديانتين بالخلقة. إن الخليفة عمل يدي الرب الخالق. فلذا توجب علينا احترامها ونحها الحماية والرعاية وفي الوقت نفسه إن معناها الكبير المطلق يرتبط بالاعتراف الأساسي بأنها خلقت ز فلذلك هي ليست موجودة من جزاء ذاتها.

إن الديانتين تشتركان في مشاعر الواجب والالتزام والمسؤولية الدينية تجاه الله، هذه المشاعر النابعة من تجلي أذات الإلهية لذلك يعتبر القانون عنصرا أساسيا في الديانتين، حيث تتحدد الحياة العملية وأفعال المؤمنين وفقه. فعلماء الدين في كلتا الديانتين هم علماء بالقانون. فالتطور والتغيير والعلاقات بين المجموعات والعلاقة بالسياسة وبأمر ومسائل اجتماعية كلها تمحص عبر مرآة التقاليد الفقهية والقضائية لكل من الديانتين. إلى جانب القانون هناك ناموس الخلاق. للديانتين تعليمات خلقية قوية وحازمة ومنها المشتركة للديانتين. فالتأكيد على القانون والأخلاق من شأنه إن يؤدي إلى التأكيد على العدل في حياة الفرد والمجتمع والعالم بأسره. إن للديانتين رؤيا إن يتحقق العدل المطلق بما يتناسب وتجلي أذات ألهية. إن السعي وراء العدل مصحوب كذلك بمفهوم القضاء. فالاعتراف بوجود القضاء والقاضي هو أمر أساسي تقوم عليه الديانتان. إن السعي وراء العدل والحق هو بمثابة ضمان لعالم يقوم على أسس

العدل والسلوك الحسن و الأئق القضاء مرتبط بالجزاء فالديانتان تؤمنان بوجود جزاء حسن مقابل الأعمال الحسنة، والجزاء السيئ مقابل الأعمال السيئة. إن الديانتين تعتقدان أن الجزاء الأخير يستمران إلى ما بعد اليوم أي إلى يوم القيامة وعلم الآخرة فالديانتين تربطان الاهتمام بالقضاء برويا العالم الآخر المستقبلية.

في الروايتين الدينيتين لا يدرك تجلي الذات اللاهية كحادثة عابرة ولمرة واحدة فقط، إنما هناك اعتراف بحركة نبوية شاملة بواسطتها يتحدث الرب إلى مخلوقاته إن مركزية النبوة والتجلي يؤديان إلى مركزية قول الرب وهو نتاج التجلي. إن الديانتين تجلان وتوقران أقوال الرب والمتمثلة بما جاء في الكتب المقدسة. أقوال الرب هي مبدأ مركزي ينظم الحياة الدينية للجاليين. تقر الديانات أن النبوة قد انقطعت الأمر الذي من شأنه أن يعزز مكانة أقوال الرب الذي تجلى قبلئذ جنبا إلى جنب تطوير روايات التفسير التي بواسطتها يستمر قول الرب في التوجه إلى المؤمنين هنا والآن.

بالرغم من اختلاف مضامين روايات الكتب المقدسة إلا أن هناك شبا كبيرا فيما بينهما. فلربما الأهم هو أن الروايتين تخصان بالذكر مجموعة من الرجال الكبار والوقائع والأنبياء الذين يشكلون معا العمود الفقري للكتب المقدسة. ربما يجدر بنا أن نذكر بشكل خاص شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام. فالروايتان تشيدان إلى إبراهيم كشخصية مؤسسة وبارزة في عشرات السنين الأخيرة يزداد التوجه إلى سيدنا إبراهيم كمركز للمشاركة بين الديانات وهناك من يعرضه كأب مشترك. هذا التوجه والذي له جذور ممتدة إلى عهود سابقة يشير إلى الحاجة المستمرة للديانتين في أن تعترف كل منهما في الأخرى وأن يشار إلى تراث مشترك قادر على تثبيت مرساة الوحدة في فترات صاخبة.

إن الاعتراف المشترك بالحكمة الإلهية ليس أقل أهمية من الاعتراف المشترك بوجود وحصول التجلي الإلهي. فالروايتان تفران بالحكمة الإلهية كتعبير هام للذات الإلهية. فالرواية المشتركة لقانون الطبيعة الموجود إلى جانب القانون المنزل تدل على الحكمة الإلهية. إن الحكمة في هذا السياق أكثر اتساعاً أقوال الرب المنزلة. إن استقلالية الحكمة من أقوال الرب المنزلة تمنح أساساً خلقياً للديانتين. هذا الأساس تستقل من تفاصيل التجلي في الديانتين. إن التوجه إلى قواعد الأخلاق مهم بشكل خاص إذا ما منح قاعدة لنقد الأعمال المرتكبة باسم القانون إذا كانت هذه الأعمال تستحق الشجب والاستنكار. بينما يمكن التأثير على القانون وتفسيره كما ينبغي وتعريضه للتأثير الإنساني السلبي إن الله وحكمته يمنحان الديانتين رقابة وتوازناً تنتج عنها نظرة خلقية أكثر اتساعاً.

اليهودية والإسلام – معرفة وتقييم الاختلاف.

إلى الجانب المشترك الهام بين الديانتين، هناك أيضاً فوارق كبيرة. عندما نقوم بفحص الصلات التاريخية بين الديانتين فإنه من الواجب معرفة وقبول الفوارق كذلك. حينما نؤكد الفوارق فليس في نيتنا أن نبرز أن هذه الفوارق أكثر أهمية من الجوانب التي تتساوى فيها الديانتين. كما أننا لا نعتقد أنها أي الفوارق تشكل من الناحية الدينية عقبة في وجه دفع العلاقات الإيجابية بين الديانتين. إن النقاش الجاري حول الفوارق والاختلافات يهدف بادئ ذي بدء إلى حوار يؤدي إلى تعرف كل طرف على الطرف الآخر. فعلى أساس التفاهم الحسن والمتبادل يكون بالمستطاع السعي إلى وضع إستراتيجيات فكرية وتفسيرية كما انعكس ذلك في الماضي وكما يجب أن ينعكس ويتجلى في الحاضر بحيث يتسنى لنا وفق

هذه الاستراتيجيات أن نتعرض للتنوع والاختلاف القائم بين اليهودية والإسلام. إن الحوار المستقبلي بين اليهود والإسلام يتضمن احترام الاختلاف وعدم إبرازه بصورة ترخي السود على التوافق الأساسي بين الديانتين.

ذكرنا أعلاه المبنى المتشابه لليهودية والإسلام. هناك مبدأ أساسي واحد يميز بصورة جلية بين مباني الديانتين. يمكن عرض هذا البعد كتوتر بين الخاص والعام أو كفارق بين دين قومي ودين شامل. إن اليهودية لها ميزاتها الخاصة من بين أديان العالم. فرغم اعتبارها إحدى "ديانات العالم" ففي الحقيقة والواقع هي الطريق الديني الحياتي لأمة معينة وهي شعب إسرائيل. إن الانتماء للدين مشابه للانتماء إلى الأمة وبالعكس. من المؤكد أن لليهودية رؤيا للبشرية جمعاء والمتمثلة بفرائض أبناء نوح وهي بمثابة دستور خلقي موجه للبشرية كلها. تتطلع اليهودية أيضا إلى عهد مستقبلي فيه تقبل البشرية على معرفة الله. إن الرؤى النبوية التي تعرض هذا المستقبل وتتطلع إليه تشكل جزءا هاما من صلاة اليهود. فبالرغم من الوعي العام تبقى اليهودية طريقا حياتيا دينيا لأمة معينة. في حين أن الإسلام يرى نفسه بشكل جماهيري كما يتضح من التسمية كل المؤمنين "أمة" ( مصطلح متشابه في العبرية والعربية والذي يدل على "الأمة ) بالنسبة لليهودية و"الملة" بالنسبة للإسلام. إن الإسلام في الحقيقة دين شامل وليس دين قوميا، الإسلام كدين يلاحظ من خلال الهوية القومية. يتواجد المسلمون في كل أرجاء المعمورة ويتمتعون بهويات قومية وعرقية وحضارية مختلفة. إن معرفة المعنى الشمولي للإسلام لقي الحافز في نشر الإسلام في العالم بأسره. هذا الحافز ذاته ينقص اليهودية. إن استخدام مصطلحين متشابهين في الروايتين أمر ساطع وبين. فالمصطلح "عهد" يشير بصورة خاصة إلى العهد الذي قطع مع شعب

إسرائيل ولا سيما بواسطة "العهد" في سيناء. هذا العهد يمنح المبنى الأساسي للديانة اليهودية. في الحقيقة، المصطلح التوراتي الأصلي الذي بواسطته يمكن وصف دين إسرائيل "بالعهد" مقارنة بالمصطلح القرآني المقابل "ميثاق" الذي يشير إلى أمر ما شامل ومختلف. "الميثاق" هو العهد الشامل الذي بواسطته تعرف كل المخلوقات سيادة الله على الخليقة، وندين له بالطاعة والانصياع. "الميثاق" لا يذكر إذا عهدا تاريخيا معينا إنما عهدا كونيا قائما قبل خلق العالم. إن الفارق بين الذاتية والعالمية يؤدي إلى ملاحظة أخرى ذات معنى نبوي هام. إن الهوية القومية مشابهة للهوية الدينية، فالأرض عندئذ تصبح ذات قيمة دينية. إن الارتباط بأرض إسرائيل بالنسبة لليهودية عنصر وعامل مبدئي بالنسبة للبريت "العهد". هذا العهد الذي يعتبر جزءا من جملة وعود وعد بها إبراهيم وأقرت في عهود أخرى في التوراة.

هناك فرائض يستوجب تطبيقها فقط في أرض إسرائيل لأن في ذلك شرطا إلزاميا لتطبيق الحياة الدينية اليهودية إن قيما دينية بدءا من تطبيق الفرائض وحتى النبوة والتقرب إلى الله كلها مشروطة في الحياة على الأرض المقدسة. إن آلاف السنين من التأملات اليهودية حول معنى أرض إسرائيل لأكثر دليل شامل على المعنى الروحاني الذي تمثله هذه الأرض من خلال أولئك الذين نجحوا في العيش فيها أو أولئك تاقوا للوصول إليها. إن فهم الأهمية المنطقية لأرض إسرائيل يتعارض مع الفهم الإسلامي العالمي للأرض. فقدسية الأرض في المفهوم الإسلامي تتصل بالعالم كله. فالعالم كله وفق الإسلام مقدس. البشرية العالمية والتي معناها الديني يدرك لكونها ممثلة لله على الأرض تفرض نهجا عالميا شاملا للأقلية. لا حاجة للإسلام لمنطقة أو أرض معينة وفق تعريفه الذاتي، علما أن الإسلام يعترف بأماكن معينة أماكن مقدسة. أم هوية الإسلام الذاتي غير مرتبطة

بأرض معينة أو إقليم معين. إن نظرية الأرض التي تخدم الإسلام ترى بل تعترف بالعالم كله أرضاً مقدسة لممارسة الشعائر والانصياع إلى الله. المثالية الإسلامية تتوقع ظهور ملكوت السماء على الأرض كلها آخر الزمان. هذه النبوة أو الرؤيا آخر الزمان التي فيها يعرف الناس كلهم ربهم وفق نبوة مشتركة لليهودية والإسلام.

إن الرؤيا العالم الآخر المشتركة لليهود والإسلام تتعرض لمكان مقدس آخر ومشارك في مناخ ووجوه يتجاهلون بها بشكل عام. في حين إن القدس تقف في مركز التوتر العميق بين المؤمنين من كلتا الديانتين. من الأهمية بمكان أن نذكر الدليل على الاشتراك المنبثق من الرؤى الروحانية لكلتا الديانتين تلك الرؤى التي تتعرض للقدس كمركز للتوقع العالم الآخر. إن أهمية القدس بالنسبة للمسلمين ليس مرتبطة فقط بمعراج النبي محمد من القدس إلى السماء.

القدس هي مركز التطلع اللاهوتي الإسلامي. القدس إذا كثرات للرواية التاريخية النبوية كلها تلعب دوراً مركزياً هاماً في صياغة الفهم الإسلامي للتاريخ لكونه مقر القضاء في آخر الزمان. إن الأهمية اللاهوتية للقدس تستوجب دراسة ونظرة أخرى. فأهمتها الدينية لا تتبع من كونها مركزاً لممارسة الشعائر الدينية الإسلامية. فمن المعروف أن "القبلة" وهي وجهة للعبادة حولت من القدس إلى مكة بالرغم من أن الحج كفريضة دينية هامة ارتبط بمكة. تمنح القدس إذا نزعة مطلقة للحياة الإنسانية التي تختبر بنظرة العالم الآخر. لكنه. لا تصوغ الحياة الدينية والقضائية والشعائرية للإسلام. هذه الحقيقة هي بمثابة مادة للتفكير. إن خصوصية الديانة اليهودية جزء من رؤيا الإسلام العالمية آخر الزمان. فكما يتبين الأمر فإن رؤيا بخصوصية التي تحملها الديانة اليهودية والرؤيا العالمية للإسلام لا تتناقضان. فضلاً عن ذلك إن الحقيقة عدم اتخاذ الإسلام القدس

مركزاً دينياً هو أمر بحد ذاته يثير التفكير. إن مفهوم القدس العالمي في نظر الإسلام أوسع بكثير من الانتماء الديني الذاتي من الممكن طرح اقتراح معقول مفاده أن تحويل الإسلام للقبلة في القدس إلى مكة يدل على أن الإسلام لا يرغب في تبديل اليهودية ويمكن طرح اقتراح مفاده أن عالمية الإسلام تقوم على الاعتراف بخصوصية اليهودية.

بالرغم من أن الفوارق الأساسية في تركيبة الديانتين تتصل بالتوتر القائم بين الخصوصية والعالمية، هناك فوارق كثيرة أخرى وهي عبارة عن نتائج للفوارق في وجهات النظر والفهم فيما يتعلق بتفاصيل وقائع في الكتب المقدسة. بالرغم من وجود ذاكرة واسعة ومشتركة، ففي أغلب الأحيان تبرز تفاصيل الكتب المقدسة الاختلاف والتنوع لا الوحدة والاتفاق. وبالرغم من وجود أدلة كثيرة على اعتماد الإسلام على روايات يهودية تتعلق بتفسير القرآن كما هو الحال تأثير طرائق التفسير الإسلامية على تفسير التوراة فإن جزء من التراث ما قبل المعاصر الذي نتشارك فيه هو السبب في نشوء وجهة نظر إسلامية تزعم بتزييف التوراة من قبل اليهود وهذا إلى جانب رفض وإبعاد تفاصيل كثيرة موجودة في الكتب المقدسة الإسلامية مستمدة من اليهودية. في التحليل الأخير إن ما تقدم عليه المزاعم هو في الحقيقة شرعية الدليل الآخر وحدود الشرعية التي يمكن إضفاؤها على الدين الآخر. يمنح الشبه الكبير بين اليهودية والإسلام خلفية يتسنى بوسطتها إبراز التنوع والاختلاف. إن السؤال المطروح أمامنا ليس منح وزن كبير للمتساوي والمختلف، إنما تطرح مسألة شرعية الدين الآخر على ضوء فكرة التنوع والاختلاف بين الكتب المقدسة. إن هذه المسألة تعد جزء من التراث التاريخي للعلاقات بين الديانتين، لكنها ذات معنى واقعي عملي خص إن التاريخ الغني بالعلاقات بين الديانات اليهودية والإسلام يشمل موارد كثيرة يمكن باسئطها التعرض للاختلاف

بين الديانات. إن الديناميكية اللقاء بين الأديان بقوة كبيرة بواسطة السعي إلى السلام العالمي من شأنها أن تشكل حافزا آخر لفحص مجدد يتعلق بالانطباعات السائدة والشائعة بخصوص شرعية الآخر إذا هيا نتقدم إلى الجزء الآخر من نقاشنا لنبحث مسائل تتعلق بالاعتراف بطرح اقتراحات جديدة بغية دفع التقييم والتقدير والتعارف المتبادل. من الاختلافات إلى الاعتراف المتبادل ومجابهة تحديات مشتركة.

إن عملية إظهار عمق الروابط التاريخي والاعتماد المتبادل بين الديانتين وكذلك إعادة التراث اليهودي الإسلامي المشترك من جديد تفترض شروطا وهي المعرفة والاعتدال والاحترام المتبادلين. إن تاريخ العلاقات بين اليهود والمسلمين يعطينا بجزارة نماذج وسوابق كثيرة لتلك إلا أن العلاقة المعاصرة تضع أمامنا تحديات جديدة تفرض فحصا فكريا جديدا على الطرفين. إن جزءا من الثمن جراء تسييس العلاقات اليهودية الإسلامية لم يلق انتباها بحيث أن الجوانب المتساوية التي كانت في الماضي والتي دلت على التعايش التام لم تلق رعاية أو اهتماما، فكيف الحال إذا ما لم يجر تقدم كاف في مجال العلاقات الروحانية بين الأديان. هذه الحقيقة تبرز بصورة خاصة مقارنة بمسارات حوار أخرى بين الديانات. ليت بمقدور الفقرات التالية أن تملأ هذه الفراغات بالرغم من ذلك فإنها تقترح اتجاهات للإطلاع واقتراحات تتعلق بالحالات التي يمكن منها مجابهة مسائل مرتبطة بالاعتراف المتبادل وفي مواجهة الاختلافات. الأمور التالية هي بمثابة اقتراحات تهدف إلى إثارة فكرة أخرى. ولا تسعى إلى إعطاء حلول أو حقائق ثابتة. شتان ما بينهما وبين أقسام سابقة في هذا المقام التي كانت في الأساس أقسام وصفية، فيها استعراضا ما نراه حقائق لا يختلف عليها اثنان. إن قسما مما سيرد ذكره هو بمثابة اقتراحات عملية إبداعية لا تتساوى في نفس كل قارىء. لذلك من المهم

ذكره أن هدفنا هو فتح حوار والإشادة إلى طرف تمكن الحوار من التقدم. في نهاية الأمر إن المشاركين في الحوار والنقاش هم المخولون بتحديد خطوط الحوار المستقبلي بين الديانتين اليهودية والإسلامية. بغية دفع عملية الاعتراف المتبادل والمعرفة المتبادلة فمن الضروري تطبيق أعمال الاعتراف المتبادل فحوار القضاء على الفوارق التاريخية. بل انه يشمل ويتضمن المتشابه والمختلف، وفي الوقت نفسه يعطي الشرعية للرواية الروحانية الأساسية لكل ديانة. وفي ضوء هذا فبودنا أن نعود للإطلاع على بعض المواضيع التي بحثناها في القسم السابق ومن ثم تقديم عدة إدراكات ومفاهيم ظهرت في غضون تاريخ العلاقات بين الديانات.

لربما من الجدير أن نبدأ بمواجهة فكر التحدي المتمثلة بالمختلف والمتنوع في المجال الديني. أم في أساس عملية الحوار اعترافا فعليا وواقعا بالمختلف، لكن الاعتراف الحقيقي الملموس مرتبط بالاعتراف بالحزم الروحاني العميق عند المتدين الآخر. في هذا السياق لربما توجد حالة أساسية من عدم التبادلية بين اليهودية والإسلام. إن الإسلام كدين شاب يرى نفسه استمرارا للرواية القديمة ومصادقا عليها. أم منح الشرعية من الجانب الإسلامي للتجليات السابقة مثبتة في نظرية التنوع والتعددية " لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة" إن نزول التوراة يؤكد عدة مرات في القرآن الكريم كما هو الحال في الآيات التالية:

" وكيف يحكموك وعندهم التوراة فيها حكم الله

بالرغم من الفريد الشاذ والمهم جدير بنا أن نذكر موقف اليهودية التقليدي لا يعترف بنزول الكتب المقدسة بعد التوراة. لذلك في سياق المحاولة لمنح شرعية للمتدين الآخر. فإن الانتباه جذب لمقامين العقيدة ولجوذة القيادة العملية وليس إلى قوة النزول والتجلي. يمكن التفكير بثلاث صور مختلفة يتم بواسطتها منح الشرعية لآخر دون الاعتراف بالنزول

الأساسي للدين الآخر. بشكل تقليدي أثار مؤلفون يهود إلى قوة العقيدة الإسلامية مثلما تطابق أسس العقيدة اليهودية إن القواسم المشتركة للعقيدة المذكورة أعلاه تم استيعابها كأساس ذات معنى كبير. أي إن نزول الوحي في السياق الحضاري الإسلامي المشترك أتاح إمكانية تجاهل مواضيع مثل السلطة ونظرية المعرفة

إن استراتيجيات أخرى تتجه نحو الوحي، وهي ما قبل التوراة بهدف تأكيد سلوك الغير. وهنا نجد التوجه نحو الأخلاق والخلقية كما هو الحال غير اليهود كوسيلة لمنح الشرعية للأديان الأخرى. إن النظرة اليهودية تجاه المتدين الآخر تتجه صوب التجلي والنزول ولمجموعة الفرائض المختلفة عن تلك التي منحت لبني إسرائيل في سيناء. هذه التعاليم هي تعاليم أبناء نوح وقد أعطيت للبشرية كلها في زمن آدم. هذه التعاليم تشمل أوامر خلقية أساسية نحو تحريم القتل والسرقا والسفاح وغير ذلك. إن حياة خلقية أساسية متيسرة للبشرية جمعاء وفق وجهة نظر دينية ليس بالضرورة وفق الديانة اليهودية. يمكن فهم وإدراك استراتيجيات ثلاثة بمفاهيم التجلي المستقبلية أو من خلال التطبيق المستقبلي للمثالية الروحانية. فان ما لا يتم تأكيده أو تصديقه بمفاهيم التجلي في الحاضر يمكن أن يكون مؤكدا ومصادقا بمفاهيم مستقبلية. إن مثالية المسيح المنقذ هنا تطلق اضاءات نوعية ومثالية صوب الحاضر. وهي بدورها تمكن المتدين الآخر من الحصول على الشرعية. إن أوضح حالة تدل على تطبيق هذا المنهج ما ورد عند الفيلسوف موسى بن ميمون عندما تعرض لوظيفة الإسلام (والمسيحية) للإعداد لمستقبل يظهر فيه المخلص، وبهذا يمكن غض الطرف عما قد تراه اليهودية خطأ وذلك بهدف تأكيد الاختلاف الكبير في النظرة أو العلاقة الحاصلة بواسطة تعاليم الإسلام التي تظفي شرعية بمفاهيم تأهيل العالم لقبول الإدراك المستقبلي لأمر المخلص

المنتظر. (موسى بن ميمون، هلكوت ملخيم ) إن القاسم المشترك للمواقف المذكورة أعلاه هو محاولتها تصديق الإسلام وتأكيدُه أو تصديق قسم منهج من خلال الامتناع عن تصديق النزول ( نزول الوحي). مع ذلك هناك أمر فريد واحد يميز هذه الغاية أو هذا المسار. فعلى الأقل مؤلف يهودي واحد في العصور الوسطى كان جاهزا أن يزن إمكانية تعدد حالات الوحي في الدين، وبذلك يتم فتح الشرعية لنزول الوحي في الإسلام. إن الحاخام ننتئيل باربي الفيومي اقترح في كتابه " جان هسخليم" أي صديقة العقول نظرية نزول الوحي التي يمكن تسميتها " التسامحية" أو " التكييفية" إن الله يتجلى لعباده بطرق مختلفة وبواسطة نزول أو تجلي مختلف يتطابق مع عادات وتقاليد حضارية لكل أمة من الأمم المختلفة. إن ما يثير الدهشة والاستغراب أن الفيومي يقتبس من القرآن الكريم كأدلة وحجج على ما يورده من الأفكار، وبذلك يتيح لنا إمكانية النظر عميقا إلى ما بلغته الحضارة اليهودية الإسلامية. إن تجلي الرب ليس أمرا محدودا أو مقصورا على مرة واحدة إنما ينعكس على حصوله مرات عدة. من المفضل أن نلاحظ للجميع إننا لا نجد في التوراة نفيًا قاطعا لإمكانية نبوة تظهر بصور وأشكال متغايرة لشعوب مختلفة. بل نجد بوضوح تعرضا الأنبياء من غير بني إسرائيل مع أن اليهودية تخلو من أي أساس ينفي بشكل قاطع إمكانية النبوة والتجلي الموجهين للأمم الأخرى. بالرغم من ذلك كان هناك بمرور الأجيال اتجاه قوي تأثر بجزء من النظرة الواسعة المتعلقة بعلاقات إسرائيل بالأمم. هذا الاتجاه سعى إلى إلغاء التجليات الأخرى. إن موقف الفيومي ليست موقفا قديما مهما يضع نصب أعيننا إمكانيات فكرية جديدة إنما مطالبة للتفكير من جديد ما هو الأساس التوراتي للمزاعم المطلقة فيما يتعلق بالأديان الأخرى.

نتوجه من الاعتبارات الواسعة فيما يتعلق بالمختلف إلى التوتر القائم بين الذاتي والعالمي الذي يفرق بين الديانتين. انه لمن غير الممكن فصل النقاش في أمر الذاتية والعالمية عن الأفكار السابقة حول التجلي وسريانه. إن الملاحظات التالية تتبع من نظرة مؤكدة للتجلي. إن من بين الاستراتيجيات التي تتجاوز سريان التجليات الأخرى الموقف القائم والملائم لمناقشة وبحث الذاتية والعالمية. بشكل نظري يمكن رؤية الذاتية والعالمية كعناصر تكمل بعضها البعض بصورة انسجامية. بما أن الموقف الإسلامي قادر بسهولة أن يرى في اليهودية والإسلام تجليات والإسلام تجليات. فهو قادر إن يرى أذات اليهودية ميزة ايجابية مكملة للعالمية الإسلامية. في اللحظة التي نعرف فيها التسلسل النبوي بين الأديان يمكن التقدم والتفكير بالذاتية المتعلقة بالتجارب اليهودية كمحور تنطلق من هذه الروح. فيما وراء الاعتبارات العامة المتعلقة بالذات والعالمية نجد تعابير خاصة في القرآن الكريم تمنح الذاتية لليهودية ومن ضمنها البعد الإقليمي. إن الرواية الإسلامية تعرف العلاقة المحددة بين الرب واليهود هذه العلاقة مرتبطة الأرض كما ورد في القرآن: "ولكل وجه هو مولياها"

وبهذا تظهر الأرض المقدسة كعلاقة للعهد القائم بين الرب وشعب إسرائيل وبالشكل الذي تعبر فيه اليهودية الذاتية والخصوصية وهي عطاء الرب. إن الاعتراف الديني المتبادل يمكن تحقيقه بواسطة تأكيد التجلي أو بواسطة تأكيد الحياة الروحانية الدينية والخلقية للغير. بالتأكيد، إن تصديق التجلي يذهب بعيدا في الاعتراف بالغير. فكما رأينا إن تصديق وتأكيد التجلي يذهب بعيدا في الاعتراف بالغير. فكما رأينا إن تصديق وتأكيد التجلي ليس أمرا متعلقا بنظرة اليهود للإسلام، إنما بصورة تاريخية تتعلق بنظرة الإسلام إلى اليهود كما يستدل من المزاعم المتعلقة بتزييف الكتب المقدسة. بالرغم من الأرضية القوية للشرعية الممنوحة للتجلي الرباني

وفق الديانة اليهودية فان الكتب المقدسة اليهودية مشبوهة لذا تفقد هذه الكتب ولو بصورة جزئية الشرعية الممنوحة لها. بالرغم من المكان الذي أمثله هذا الموضوع نحن نؤمن انه بالإمكان أن يشتمل عليه بشكل معاشي. إن جزءا من النقاش ضروري للنظرة اليهودية تجاه التجلي (الوحي) الإسلامي. إن "التحريف" ومعنى التحريف اللفظي التغيير والعودة إلى الوراء. علما أن معظم المسلمين في العصر الحديث يؤمنون أن "التحريف" معناه في الحقيقة تغيير الكتب المقدسة. إن التفسيرات القديمة رأت في المصطلح "تحريف" تغييرا في فهم وتفسير النصوص وليس تغييرا في النصه نفسه. هذا التغيير مصدره بالجهير المعتزلي وبالعالم الاندلسي الزهيري ابن حزم. من خلال قراءة نصوص هذا الأخير وهى قراءة حرفية لذلك لم يكن يخطر بباله التفكير بتغيير المعنى. بالرغم من ذلك, حينما يفكر بالكتب المقدسة هو يحسب التفكير كمرتبط فقط بالتفسير باستثناء أغلاط هامشية طبيعية وعادية. انه يقتبس من ابن عباس القائل: "لا يمكن لمجموعة دينية أن تمس بالكتب المقدسة عندما والتي نزلت على نبيها بحيث تغير فيها شيئا أو ما شابه ذلك". وهو يضيف " أن ما فعلوه هو تغيير التفسير". وكذلك: " لا أحد يجرؤ على تغيير كلمات الله إلا إنهم يفسرون ذلك بصورة مخالفة لما قيل". فعلى ضوء مثل هذه المقولات استنطع علماء الدين المسلمون الاعتماد على الكتب المقدسة اليهودية وعلى تفسيراتها من أجل فهم روايات القرآن. من هنا ينبع الاعتماد على الإسرائيليات بهدف تفسير القرآن. إن التوجه الأخير للتفسير كنشاط إنساني يطرح أمامنا موضوعا واسعا يحتل مكانا هاما في النقاش الديني، كما هو الحال في النقاش الأدبي المعاصر. يخيل أنه بالإمكان استنباط إدراك عميقا من التوراة ومن الضروري التفكير إذا ما كان الإدراك نافعا لنا في السياق بين الأديان.

إن تعلم التوراة كما هو متبع في عالم الحاخاميين يتميز بتعدد الآراء والأساة. إن وجة نظر حكماء اليهود نرى في هذا النقاش إثراء للرواية الدينية وليس عيباً أو مساساً بها. إن كلام الرب يثمر تعدداً وتنوعاً في تفسير. إن العالم الإسلامي الغزالي أشار إلى ستين ألف تفسير لكل آية وآية في القرآن الكريم. بينما لفيف من علماء المسلمين المتأخرين زادوا العدد إلى ثلاث مائة ألف. ومؤلفون يهود رفعوا العدد إلى مليونين وأربعمائة ألف. لذلك فإن التعدد والتنوع نورمات متعارف عليها في تفسير الكتب المقدسة اليهودية والإسلامية. إلا أن فهم هذه التفسيرات منوط بمعرفة أساس التنزيل. إن السؤال الجدير بان ينظر فيه هو: هل يمكن التعامل مع الكتب المقدسة للروايات المختلفة من منطلق هذا التنوع؟ إن السؤال مرتبط بصورة كبيرة في مسألة الاعتراف بالكتب المقدسة الأخرى أو عدمه. مع ذلك ربما من الممكن التفكير إلى أي حد مشروط الثراء في التفسير بفهم التجلي. إن هذا الثراء هو دليل على ثراء روح الإنسانية. فيما يتعلق بالتنوع الجوهرى المتعلق بكوننا بشراً، وتعدد الطرائف في الواقع الإنسانى المحدود في نظرتة إلى المطلق الربانى. ففي المجال الممتد بين الواقع الربانى المطلق وبين التعدد المميز للواقع الإنسانى ينشأ مجمل من الردود والإجابات والتفسيرات التي تتعرض كلها للدافع النبوي الأصلي وتفسره بمصالحاتها المختلفة. إن السؤال الواجب طرحه هو: هل يمكن تأكيد روايات دينية مختلفة رغم الاختلافات بينها من وجهة نظر التفسير؟

إن هذا المقترح لم يقدم كمحاولة عصرية لتحويل الحقيقة إلى واقع بواسطته يتم التعرف على الواقع المختلف. يمكن تثبيت هذا المقترح بالروايات الدينية الكلاسيكية أي من خلال النظر إلى رواياتنا بمفاهيم الحقيقة حينما ندرك الحقيقة بالمعنى الضيق، فهذا يثير نقاشات لا نهاية لها

ولا طعم لها. إن احد أسباب العنف الديني هو عدم القدرة على حسم الأمور من خلال النقاشات في الماضي والحاضر. لذلك إن فهما ضيقا للحقيقة يشكل تهديدا فغليا لكل الجاليات الدينية وللتعايش الديني. إن النقاشات حول الحقيقة تشكل صداعا لا نهاية له، والله وحده قادر على الحسم كما ورد في القرآن الكريم: "قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون".

حول الحقيقة من شأنها أن تؤدي إلى محاولة فرض موقف معين الأمر الذي يؤدي بصورة ما إلى العنف. المعرفة وإعطاء مفعولية ومشروعية للآخر تؤدي إلى إبعاد النقاشات حول الحقيقة. وذلك من خلال ترك كل مجموعة أو جالية تعبر عن الحقيقة بالطريقة الحرة التي تترأىها مناسبة لها. إن المعيار الأفضل الذي بواسطته يمكن تقييم جودة حياتنا الدينية هو مجال الآداب وحسن السلوك الذي بواسطته يمكن فحص عقيدتنا الدينية ونوعية حياتنا الروحانية. عندما نقف في وجه البشرية والتنوع الحاصل فيها يقف أمامنا اختبار الاعتراف بتعددتها من خلال نداء ومناشدة لكل واحد منا أن يسلك اتجاه الآخر باحترام ورحمة. لذلك فإن الدافع للتنافس الديني يجد طريقه إلى التنافس على التميز الخلقى. مرة ثانية يمكننا أن نتذكر أن القرآن يدعونا إلى التنافس على الأعمال الصالحة دونما الأخذ بعين الاعتبار الانتماء إلى طائفة دينية معينة. فالمعيار النهائي للدين هو الإيمان بالله والسلوك الحسن مع الآخرين كما ورد في القرآن:

إذا من المحتمل إن يكون الرد الأكثر أهمية على المزاعم التي تتادي بإلغاء الكتب المقدسة أو إلغاء مزاعم الحقيقة للآخر هو الاعتراف أن العقيدة هي أمر ما يجب أن يحياه المرء بتواضع في إطار الجالية التي

يعتبر بين ظهرانيها. ولا حاجة لاستخدام أي نقاش أو تنافس في مجال المزامعة المتعلقة بحقيقة الدين لذلك يجب من جانب واحد البقاء مخلصين للرسالة والتجلي، لكن في الوقت نفسه يجب الاعتراف أن سريان مزامعة الحقيقة وقيمة النقاشات ورفض موقف المتدين الآخر هي في نهاية الأمر حسم داخلي خاص بمجموعة المؤمنين والتي لا يمكن إشراك الآخرين فيها. إن الاعتراف بكثرة وتنوع حالات الواقع الديني أو الحقيقة الدينية نافع أخلاقيا كما يعرض القرآن الكريم: "بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون".

فالقرآن إذا يعرض لنا صورة للتعدد والتنوع الديني الهادفة إلى تبيينها للتفوق الأخلاقي هذه الرؤيا تفتح أمامنا إمكانية إن يكون التنوع الديني مقيم ومقدر وبأنه يجب ربطه لصالح السعادة والرفاه الخقيين للمجتمع، الأمر الذي يقودنا إلى النقطة الأخيرة في هذا القسم من النقاش. من اللحظة التي فيها نعترف انه لزام علينا أن نقيم أدياننا بناء على إسهاماتنا الخقية، ويجب علينا أن نطرح سؤالاً وهو: كيف يتمكن الإسلام واليهودية من تناول مسائل خلقية لا كديانتين متنافستين في نظر الله وإنما كشريكين لرفاه وسعادة البشرية؟ وكتحصيل حاصل للديانتين فتثور إمكانية المواجهة المشتركة مع تحديات أخلاقية معاصرة تفرضها الحياة وملبساتها الحالية. لقد آن الأوان لطرح سؤال: هل دراسة مشتركة للتحديات الخقية المعاصرة ليست إحدى ثمار الاعتراف المشترك التي تمكن اليهودية والإسلام من المجابهة المشتركة للتحديات المعاصرة. النقاش السابق وضع شراكة في تشكيلة من المواضيع المبدئية، من بينها القيم الخقية والروحانية التي توحد الديانتين. تلك القيم والمواضيع التي شكلت ما يسمى بالتراث اليهودي الإسلامي والذي يمكن تسخيرها لخدمة البشرية. إن الاعتراف المتبادل يمنحنا الفرصة والمسؤولية نحو إظهار وإحياء هذه

الكنوز الدفينة للرسالتين اليهودية والإسلامية. إن قيمة مركزية وأساسية وذات أهمية كبرى تتناولها الرسالتان هي احترام الإنسان وكرامته. وحقا إن هذه الكرامة هي الأساس لعملية الاعتراف المتبادل وذلك فيما إذا هذا الاعتراف يشمل ليس فقط اعتراف الأديان وإنما المؤمنين والأتباع من هنا تتبع العلاقة الأساسية والنظرة الأساسية لاحترام أبناء الدين الآخر إن كرامة الإنسان وكرامة المخلوقات كمركبات وعناصر مركزية في الرسالتين اليهودية والإسلامية ستكون الموضوع الأخير في الحلقة النقاشية. إن لهذه الأفكار أصداء في الإسلام أحيانا أثناء استخدام لغة متشابهة وأحيانا بواسطة لغة أخرى يعرض القرآن الكريم ألفاظا مختلفة لنظرتة السامية تجاه الكمال البشري كما ورد في الآية التالية: "لكل منكم جعلنا شريعة ومنهاجا"

إن رواية الحديث النبوي لها أهمية كبيرة خاصة في ضوء المصدر التوراتي. هذه الرواية التي فهمت بطرق مختلفة وفقها خلق الله الإنسان في صورته إن الروعة تكمن في الشبه القائم بين الرسالتين. ويمكننا أن نتذكر مقولة عائشة بالنسبة للنبي وحسبها كل طبعة القرآن وهو الكلمة التي لم يخلق الله إن معنى هذه المقولة هو إن كمال الإنسان ليس إلا انعكاسا لكمال الله ذاته.

إن بعد آخر للفهم التوراتي لخلق البشرية على صورة الله يكمن في المسؤولية التي أودعها الله في يد الإنسان لباقي الخلقية بحيث أن رعايتها بيديه إن الرسالة الإسلامية تعترف بأن إظهار الكمال الإلهي معناه إظهار نفس الاهتمام والمسؤولية والمحبة والعمل الحسن تجاه الخلقية كما يفعل ذلك الله تجاه مخلوقاته في كل لحظة إن الرواية الإسلامية التي ترى في الإنسان تاج الخلقية "وكليفة" أي مسؤولا ممثلا للرب بالنسبة لباقي الخلقية تدل على مكان الإنسان الخاصة ومسؤوليته تجاه الخلقية. إن دليلا

رائعا على كرامة الإنسان وعلى كونه خليفة وممثلا له تكمن في المصدر الثاني الذي يثني ويمتدح قيم التسامح، الصفح. والعمل الطيب وفهم آخر. يقول

عندما نفكر بالتراث اليهودي الإسلامي للرسالتين اليهودية الإسلامية فإن إحدى القيم المركزية التي تشكل صورة العالم عندما تتعلق أعلاه طرح هذه الفكرة كمبدأ موجه والذي بناء عليه تستطيع الرسالتين تشكيل وتصميم نظرتها للغير بمفاهيم عملية محسوسة إن دراسة الأبعاد والمضاعفات العملية الكثيرة التي يمكن إن تنشأ عن دراسة موضوع كرامة الإنسان وتأثيرها على الحياة اليومية للجاليات اليهودية والإسلامية التي تعبت جنبا إلى جنب هي ليست بصدد النقاش الحالي والسياق الحالي لا يتيح لنا إمكانية فحص كيف بإمكان هذا المبدأ أن ينعكس في الحسم أشرائعي للرسالتين خاصة في حالات المواجهة. إن الدراسة الفقهية والتفسيرية المطلوبة لدراسة هذه الأبعاد مفصلة جدا وعلى كل حال هذا أمر متعلق بأصحاب الفقه من كلا الطرفين. الإسهام الحالي يسعى إلى فتح نقاش بين اليهود والمسلمين للتعرف ولمعرفة قيمة الأساس المشترك فيما بينهم, هذا الأساس بمقدوره أن يستخدم كدليل بناء عليه يمكن عقد نقاشات عملية وقضائية فقهية. إذا كان هناك اتفاق على هذا الأساس, يمكن فحص مدى إخلاص ووفاء الرسالتين له, ويمكن فرض الواجب علينا لإيجاد طرق لتطبيق هذا الأساس.

إن الأهداف التي طرحت في هذا المقال هي بمثابة مواضيع دينية كبير الوزن. وهي تضع تحديات أمام مفكرين وفلاسفة من كلا الطرفين. هذه التحديات تشمل:

\* - إظهار الرسالة اليهودية الإسلامية المشتركة من جديد.

\* - اعتراف متبادل بين الديانتين.

\* - فلسفة دينية مبدعة بالنسبة لعرض الغير بصورة سلبية وبالنسبة لمواضيع كانت تاريخيا

مصدرا للتوتر بين الديان.

\* - تعاون فكري بالنسبة لمسائل معاصرة.

إن التفكير حول مثل هذه التحديات يستوجب سياقاً تطبق فيه. إن الرسالة اليهودية الإسلامية شكلت في السياق اختفى بصورة كبيرة، وفي الأماكن التي يعيش فيها اليهود والمسلمون جنباً إلى جنب ألفت المواجهة السياسية بظلالها مرارا على إمكانية دفع الأهداف المذكورة أعلاه وكبديل للسياق أو الظرف الطبيعي للتعايش يجب على قادة الديانات الذين يسعون إلى خلق انسجام بين الأديان إن يقيموا سياقات جديدة وظروف أخرى تمكنهم من دفع أفكارهم وفلسفتهم إلى وعي جماهير واسعة. فلقاءات مثل لقاء إفران تخلق سياقاً لبدأ حوار جديد بين اليهودية والإسلام. إن نجاح اللقاء لا يرتبط بجودة المحاضرات أو الحوارات في اللقاء وإنما بقدرته المشتركين على إقامة ظروف وسياقات حياتية تتيح فرصة دفع الحوار والتفاهم مع الآخر. إن نجاح اللقاء مرتبط بالثمار التي يثمرها اللقاء وبالنتائج العملية. لذلك ندعوكم من خلال الإعداد للقاء إفران أن تركزوا جهودكم التفكيرية لبعض المسائل الآتية:

\*- ما هي الظروف والسياقات التي تتيح تطوير العلاقات الشخصية والجماعية التي من شأنها دفع أهداف التفاهم المشترك، الانسجام والتعاون في كل المستويات.

\*- كيف يتم نشر بشرى التعامل المشترك والتفاهم المتبادل بين الجاليات الدينية عندنا دون العيش وفق رؤية مجردة؟.

\*- ما هي الخطوات العملية التي يمكن ممارستها في جاليتك حيى يتسنى لها التفاهم الأفضل مع المتدين الآخر؟.

\*- ما هي الإجراءات التربوية التي يمكن اتخاذها من جديد لإظهار التاريخ الغني والايجابي بين اليهودية والإسلام وإبراز التراث المشترك؟

\*- ما هي الإبعاد الحضارية والعقائدية التي يمكن إعادتها كجزء من إظهارها المجدد للتراث اليهودي الإسلامي.

كلنا دعاء صادق أن يجيب مؤتمر إفران عن هذه الأسئلة إجابات تدوي في أرجاء العالم كله، في كل الجاليات حيث يعيش اليهود والمسلمون جنبا إلى جنب .

من هنا تتبع العلاقة الأساسية من الاحترام للأبناء الدين الآخر. إن كرامة الإنسان وكرامة المخلوقات كمركبات مركزية للرسالة اليهودية الإسلامية ستكون محور الحديث في الجزء الأخير من النقاش.

كرامة الإنسان قيمة أساسية مشتركة.

إن تقييم إمكانية إسهام الرسالة اليهودية الإسلامية للحوار الخلفي المعاصر ولدفع العلاقات بين الجاليتين الدينيتين يمكن إن يخطو خطوات إلى الأمام بواسطة تحديد القيم الأساسية المشتركة. إن المقصود بالقيم الأساسية المبادئ والأسس الدينية والروحانية المؤثرة على تشكيلها واسعة من القرارات العملية والقرارات القضائية، والألفاظ العملية المشكلة لصورة العالم الدينية. رغم كون القيم الأساسية نظرياً فإنها تعتبر وسيلة كبيرة لتوجيه العمل الديني ولمراقبة الطرق التي قد ينحرف فيه أو إليها الدين متجاوزاً مساره المثالي، أو للإيجاد قاسم مشترك بين الرسالات الدينية المختلفة. إن صوغ القيم الأساسية المشتركة يعتبر خطوة مهمة من أجل تحديد الإسهام المشترك لليهودية والإسلام لحل مشاكل البشرية.

النقاش الدائر يطرح كرامة الإنسان كقيمة أساسية يهودية إسلامية مشتركة.

وفق الرسالتين اليهودية والإسلام فإن كرامة الإنسان مرتبطة ومثبة بالخلقة ومأكدة من قبل التجلي والتنزيل الذين يعلمان الإنسان كيف يحافظ على كرامة الإنسان. الديانتين تؤكدان أن الإنسان (آدم) خلق وحيداً بخلاف الحيوانات التي خلقت كأجناس وأصناف جماعية من هنا تبرز الخصوصية المميزة للإنسان عن غيره من المخلوقات إن لهذا ابعاداً خلقية كما نتعلم من الرسالة اليهودية التالية: مشناه سنهادرين تعرض السبب

التالي لخلق الإنسان وحيدا: " من أجل سلامة المخلوقات حتى لا يقول الإنسان لصديقه أبي أكبر من أبيك". إن الكلمة العبرية " بن آدم" متشابهة مع العربية وهي ترمز إلى الأب المشترك لقد سبق أن تعرضنا إلى الفرائض والوصايا الخلقية العالمية نحو تعاليم أبناء نوح التي منحت للإنسان الأول كقانون للبشرية جمعاء. إن الوحدة العالمية للإنسان موازية للغاية في آخر الزمان، حينما تكون البشرية كلها موحدة في المعرفة المشتركة بالله الواحد وفق رؤيا اليهودية. لكن لا تفقد هذه الوحدة إلى التجاهل التنوع في البشرية. فنفس المشناه تعلمنا: "أن نصرح أن عظمة الله تتجلى في أن الإنسان يترك بصمات وأثار عميقة ومتشابهة. الله ملك الملوك طبع كل إنسان ببصمات آدم الأول ولا احد يشبه صديقه، لذلك كل واحد ملزم من اجلي خلق العالم". إن معرفة القرآن الكريم المثبت واعترافه بتنوع البشرية المثبت بعملية الخلق، في أعقاب تعاوننا في إعداد هذا المقال بودنا إن نقدم للمشاركين في مؤتمر إفران تصريحنا وبياننا التلخيصي لثمار عملنا المشترك. نحن نقدم بياننا للمشاركين كبيان مثالي ونوصي به كجزء من البيان الختامي للقاء إفران.

بيان طاقم التخطيط

- \*- إن استتباب السلام وتوطيده هم الأديان جميعها.
- \*- بغية دفع عملية السلام قدما انه لمن الضروري إن تنشأ قيادة دينية ومناشدة دينية لتقوم بالدور البناء.
- \*- بما إن المواجهات السياسية في القرن الأخير ألفت ظلالها المظلمة على وجهات النظر المتبادلة بين اليهودية والإسلام المر الذي أدى إلى إخفاء الرابط التاريخي الذي كان قائما بين الديانتين.

\*-بما إن مفاهيم الغير بالنسبة لليهودية والإسلام ليست أمرا متعلقا بالديانتين فقط إنما أصبحت ذات معنى شامل. فاليهود والمسلمون يعيشون جنبا إلى جنب ليس في الشرق الأوسط فحسب وإنما في مراكز مدن في العلم كله. العلاقات اليهودية الإسلامية هي مصدر القلق للتعایش في معظم أرجاء العالم الغربي. إن المواجهة في الشرق الأوسط جرت الأديان نفسها إلى مدى من المواجهة.

\*-بما أن لليهودية والإسلام تاريخا طويلا بحيث رضعت الواحدة من الأخرى، والتاريخ المشترك يشير إلى القيم الخلقية والروحانية الخاصة التي يمكن تسميتها الرسالة اليهودية الإسلامية.

\*-وبما أن البنية الأساسية للقيم الرسالة المشتركة هناك الاعتراف بمفاهيم دينية مبدئية تشترك فيها الديانتان: الله، الخليفة، الوحي، عقاب وثواب، القضاء، الآداب، الحياة في خدمة الله والناس وغير ذلك.

\*- بما أن الأطراف المشاركة في المجال الخلقى والروحاني أبرزوا تعابير مختلفة للاعتراف المتبادل في سياق التاريخ. لذلك نحن نعتقد أن هناك حاجة لتأكيد هذا التاريخ، أن المصاعب السياسية تقريبا طمست وبصورة مطلقة الثراء التاريخي للتراث اليهودي الإسلامي والاعتراف المتبادل المرافق لها.

نحن نعتقد أن اليهودية والإسلام قادران استنادا إلى القيم الموجودة في رسالتيهما أن يسهما معا إلى مجابهة التحديات التي يقف المجتمع المعاصر أمامها. نحن نتوجه إلى القادة الدينيين نناشدهم أن يمارسوا حوار الأديان من أجل فهم أفضل للتنوع القائم بين الديانتين، ومن أجل كشف طرق لمجابهة فوارق عمرها مئات السنين، التي من شأنها أن تمس وتسيء إلى التفاهم والانسجام.

في النهاية، بوجدنا إن نعود ونأكد إن لا مجال ولا مكان للحرب الدينية بين اليهودية والإسلام، وبواسطة الاعتراف المتبادل والتفاهم والتعاون يستطيع القادة الدينيون أن يدفعوا فهم وإدراك الديانتين بصورة شاملة، وان يقللوا من تأثير الدينيتين في الأماكن التي تحصل فيها الصراعات. نحن نتوجه إلى القادة الدينيين أن يجدوا الوسائل والمناهج العملية حتى يترجموا التفاهمات المتبادلة إلى واقع أفضل وأحسن وكذلك التعاون المشترك المتجلي في الرسالة اليهودية الإسلامية.